علاقة دولة المماليك بالدولة البيزنطية

obeikandl.com

obeikandl.com

علاقة دولة المماليك بالدولة البيزنطية

أثبت سلاطين المماليك أنهم على جانب كبير من المهارة السياسية والقدرة على اكتساب الحلفاء في الخارج ضد أعدائهم الذين هددوا دولتهم تهديدًا مباشرًا في مصر والشام ، وقد أثمرت هذه السياسة عن تحالف بين المماليك ومغول القفجاق ليضربوا بهم مغول فارس الذين طالما هددوا بلاد الشام، ولكن مغول فارس لم يكونوا الخطر الوحيد الذي هدد نفوذ المماليك وأمن دولتهم في بلاد الشام، وإنما كان هناك أيضًا الخطر الصليبي.

وكان طبيعيًا أن يحالف المماليك أعداء الصليبيين مثلما حالفوا أعداء مغول فارس، فأخذ الظاهر بيبرس يسعى للتقارب مع الإمبراطورية البيزنطية ، وهي العدو التقليدي للصليبيين بالشام منذ قيام الحروب الصليبية في نهاية القرن الحادي عشر ، ولم تلبث أن توطدت العلاقات بين الظاهر بيبرس والإمبراطور ميخائيل باليولوجس، فأرسل الإمبراطور إلى بيبرس يطلب منه إيفاد بطرك من الملكانيين ليرعى شؤون الطائفة الملكانية في دولته، فاستجاب بيبرس لرغبة الإمبراطور ، وأرسل إليه سنة ١٢٦٢ الرشيد الكحال – وهو أحد رجال المذهب الملكاني – وقد صحبه في سفره الأمير فارس الدين أقوش المسعودي ، وهناك في القسطنطينية احتفى الإمبراطور البيزنطي بالسفارة المماليكية، واطلع الأمير أقوش على مسجد المسلمين الذي هدمه الصليبيون في الحملة الصليبية الرابعة ، والذي شرع

الإمبراطـور في تجديـده وكـان أن أسـهم بيـبرس في تعمـير مـسجد القسطنطينية، وقد استمرت هذه العلاقات الودية بين سلطنة المماليك والإمبراطورية البيزنطية بعد عهد بيبرس وعهد الإمبراطور ميخائيل ، فعندما اعتلى الإمبراطور أندرونيق الثاني عشر الدولة البيزنطية سنة ١٢٨٢، بادر بإرسال هدية إلى السلطان قلاون، ثم استمرت العلاقات الودية بين دولة المماليك والإمبراطورية البيزنطية في عهد السلطان الناصر محمد ابن قلاون – والذي شهدت دولة المماليك في عهده أقصى درجات نفوذها – ثم سار أولاد السلطان الناصر محمد وأحفاده على سياسته ، إلى أن أخذت الإمبراطورية البيزنطية تتعرض لضعف شديد من جانب الدولة العثمانية في أواخر القرن الرابع عشر، ولم يكن بوسع الأباطرة البيزنطيين أن يطلبوا من المماليك مساعدتهم ضد العثمانيين ، لأن المسلمين جميعًا – داخل دولة المماليك وخارجها – كانوا ينظرون إلى توسع العثمانيين على حساب القوى الصليبية في شرق أوروبا نظرة ارتياح، ويعتبرون الفتوحات العثمانية جزءًا من حركة الجهاد الديني في ذلك الدور الأخير من العصور الوسطى، وهكذا حتى جاءت الأخبار إلى مصر بفتح العثمانيين للقسطنطينية سنة ٨٥٧ هـ / ١٤٥٣، فاحتفل السلطان إينال بذلك الحدث احتفالًا كبيرًا ، ودقت البشائر بالقلعة ، وزينت القاهرة ابتهاجًا بسقوط عاصمة الروم ، وأرسل السلطان إينال إلى السلطان محمد الفاتح العثماني يهنئه بهذا الفتح العظيم.